مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854
تاريخ استلام البحث: ٢٠/ ١٢/ ٢٠٢١ تاريخ قبول النشر:٢٠/٢/٢٠٢٢

ضمُّ صلاح الدِّين لإقْليم الجَزيرة الفُراتيَّة

من خلال كِتاب "صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس" لستانلي لان بول

Saladin's Conquest of Al-Djazīra depending on

S. Lane-Poole's Book "Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem"

د. علاء مصري إبراهيم النهر

مصر

جامعة الإسكندرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

الاختصاص الدقيق: التاريخ الإسلامي

Dr. Alaa Masry Ibrahim Alnahr
Egypt
Department of History / Faculty of Arts / Alexandria University
Specialization: Islamic History

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

ملخص البحث:

يُعَدُّ كِتابُ المؤرِّخ الإنجليزي ستانلي لين بول (١٨٥٤-١٩٣١م)[١] عن السُّلْطان صلاح الدِّين من أهمِّ ما صُنِّفَ عنه؛ فهو البوصلة التي بمُوجِبها تُقدِّرُ مُعظمُ سِيَر السُّلْطان الأُخرى نفسَها أو يُقدِّرها الآخَرون. فقد كان لين بول أوَّلَ مُؤرِّخٍ إنجليزيٍّ يستخدم جميعَ المصادِر المتاحة وقتذاك، سواء الفِرْنْجيَّة أَمِ العربيَّة. واستقى معلوماتِه من كتب التواريخ، ومن على النقوش المعمارية والشواهد الأثرية، ومِمَّا كُتِبَ على العملات، تخصصه الدقيق. ويتكون البحث من: مقدمة، ومحورين، وخاتمة. المحور الأول عن: حملة صلاح الدِّين على بلاد الجَزيرة سنة ٥٧٨-٥٧٩هـ/ ١١٨٢-١١٨٣م، والمحور الثاني عن: حملة صلاح الدِّين الثانية على بلاد الجَزيرة سنة ٥٨١هـ/١١٨٥-١١٨٦م.

الكلمات المفتاحية: صلاح الدين، إقليم الجزيرة الفراتية، لان بول.

Abstract:

The book of the British historian, Stanley Lane-Poole (1854-1931) about Sultan Saladin, is one of the most important books on him. It is the compass by which most of the other Sultan's biographies are valued themselves or by others. Lane-Poole was the first British historian using all available sources at that time, whether Frankish or Arabic. He derived his information from history books, architectural inscriptions and archaeological evidence, and what was written on coins. This research consists of: an introduction, two elements, and conclusion. The first element is about: Saladin's campaign to Mesopotamia in 578-579 AH/ 1182-1183 AD, and the second element is about: Saladin's second campaign to Al-Djazīra in 581 AH / 1185-1186 AD.
Keywords: Saladin, Al-Djazīra, Lane-Poole.

أولًا– المقدمة:

صدر كتابُه عن صلاح الدِّين عند مُنقلَب القرن التاسع عشر، وهو الكتاب الرابع والعشرون ضمن سلسلة أبطال الأُمم (Heroes of the Nations) التي كان يرأس تحريرها إيفلين أَبُّوت (Evelyn Abbott)، وطُبِعَ في حياة لين بول ثلاث مرَّاتٍ: الأُولى سنة ١٨٩٨م، والثانية سنة ١٩٠٦م عن عن دار (G. P. Putnam's Sons)، والثالثة عن دار (Williams & Norgate) في سنة ١٩٠٣م، ثم توالتْ طبعاتُه. واعتمدتُ في هذا البحث على

(١) لن أُبالِغَ إنْ قُلتُ: إنَّ لين بول هو "عُقَّابُ المستشرِقين" لألمعيته وتفرُّده، فحسبُكَ من كُتُبه: "تاريخ مِصْر في العصور الوسطى" الذي تُرجِم ترجمةً رصينةً، و"سِيرَة القاهِرَة"، و"قِصَّة العَرَب في الأَنْدَلُس" في نصّيهما الإنجليزيّ. وللمزيد عنه، راجع: مقدمة ترجمة كتابه "تاريخ مصر في العصور الوسطى"، ترجمة وتحقيق وتعليق أحمد سالم سالم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٧، ٢٠٢٠م، ص١٧-١٩، ٢٤-٢٦.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

طبعة سنة ١٩٠٦م. وحريٌّ بالذكر أنَّه في سنة ٢٠٠٢م صدرتْ طبعةٌ جديدةٌ بتقديم المؤرخ العسكري البريطاني ديفيد نيكول (David Nicolle)، وذلك بمناسبة مرور مئة عامٍ على صدور الكتاب. فالحقُّ كُلّ الحقِّ، إنَّه كتاب "عابر للقرون"، على حد تعبير الأستاذ الدكتور مُحَمَّد مؤنس عوض(٢).

تناول لين بول قيام صلاح الدين بضمّ إقليم الجزيرة الفُراتيَّة في الفصلين الحادي عشر والثاني عشر من كتابه، فبيَّن أنَّ تحرُّك صلاح الدين صوب بلاد الجزيرة جاء بعد تلقيه دَعْوة من مُظفَّر الدِّين كُوكُبُرِي – أمير حرَّان وقتئذٍ – فعَبَرَ الفُراتَ من عند الْبِيرَة، فتلقَّاه كُوكُبُرِي والأميرُ نُورُ الدِّين مُحَمَّد الأُرْتُقِيُّ صاحِب حِصْن كَيْفَا، فضمَّ إلى دولته الرُّها وسَرُوجَ والرَّقَّةَ وقَرْقِيسِيَا ونَصِيبينَ.

ثُمَّ فكَّر صلاح الدِّين في ضمّ المَوْصِل عاصِمَة صِنْوِه الأتابِك عِزّ الدِّين مسعود الأوَّل الزَّنْكِيّ، فحاصرها في ١١ رَجَب ٥٧٨هـ/ ١٠ نوفمبر ١١٨٢م، لكنَّه انسحب بجَيْشه بعد شهرٍ، وسار إلى سِنْجار؛ قاصِدًا إضْعاف معنويات المَوَاصِلَة عبر السيطرة على البلاد المحيطة بهم التي يعتمدون عليها في الإمدادات. فاستولى عليها في ٢ رَمَضان ٥٧٨هـ/ ٣٠ ديسمبر ١١٨٢م، ورتَّب بها حاميةً.

وبعقب ذلك استعدَّ لمواجَهَة تحالُف كان قد شكَّله أتابِكُ المَوْصِل وشاهُ أَرْمِينِيَة، وساعَدهما الأميرُ قُطْبُ الدِّين إيْلغازي الأُرْتُقِيُّ صاحِب ماردِين، وعساكِرُ حَلَب التي كانت تحت حكم عِماد الدِّين الثاني الزَّنْكيّ. ففي ٤ ذي القَعْدَة ٥٧٨هـ/ سَلْخ فبراير ١١٨٣م تجمَّع جَيْشٌ كبيرٌ على سَهْل حَرْزَم قُرْب ماردِين، لكنَّهم لما سَمِعوا باقْتِراب صلاح الدِّين بعثوا إليه رُسُلًا للتفاوض من أجْل الصُّلْح، فرفض. وعندما وصل صلاحُ الدِّين إلى تلك المَنْزِلَة، لم يجد أحدًا؛ إذ رجع عِزُّ الدِّين مسعودٌ وتحصَّن خلف أَسْوار مدينته الحصينة، فلم يُلاحِقْه صلاح الدِّين، وعَدَلَ عن محاولة الاستيلاء على المَوْصِل في ذلك الوقت.

ولما أكمَل صلاح الدِّين تنظيمَ فُتوحاته في بِلاد الجَزيرة، سارَ شمالًا فاستولى على مدينة آمِد في ١٤ مُحرَّم ٥٧٩هـ/ ٦ مايو ١١٨٣م، ووهب مكتبَتَها الضخمةَ إلى القاضي الفاضِل. ثم أقطع المدينة لحليفه الأُرْتُقِيّ نور الدِّين محمدٍ صاحب حِصْن كَيْفا.

في تلك الأثناء وصله خبرٌ بأنَّ عِمادَ الدِّين زَنْكي الثاني – صاحِب حَلَب وقتئذ – قد أبرَم اتِّفاقًا مع الفِرِنْج؛ فسارَعَ صلاح الدِّين بعبور نهر الفُرات من الْبِيرَة، مُسْتَوليًا في طريقه على عَيْن تاب، وفي ٢٦ مُحرَّم

(٢) مُحَمَّد مؤنس عوض: مئة كتاب عن صلاح الدين الأيُّوبي (عرض ونقد)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٥٢.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

٥٧٩هـ/ ٢١ مايو ١١٨٣م خَيَّم أمام حَلَب. لم يُبْدِ عِمَادُ الدِّين مُقاوَمَةً طويلةً؛ فسلَّم حَلَبَ، وأُعِديتْ إليه ولايةُ سِنْجار بمدنها التابِعة لها – نَصِيبِين وسَرُوج والرَّقَّة – فحكمها كتابِعٍ لصلاح الدِّين.

ثُمَّ تلقَّى صلاح الدين دعوةً من الأمير زَيْن الدِّين يُوسُف – صاحِب إرْبِل، وأخي كُوكُبُري – فجلبتْ اسْتِغاثتُه صلاحَ الدِّين إلى المنطقة مُجدَّدًا؛ إذ قَطَعَ الفُراتَ من عند الْبِيرَة في ١٢ مُحَرَّم ٥٨١هـ/ ١٥ إبريل ١١٨٥م، واستولى على مدينة ميَّافارِقِين في ٢٩ جُمادَى الأُولَى ٥٨١هـ/ آخِر أغسطس ١١٨٥م، حتَّى انتهى الأمرُ بعقد صُلْح شامل مع أتابِك المَوْصِل؛ ومن ثَمَّ تفرَّغ صلاحُ الدين أخيرًا لجِهاد الفِرِنْج.

ونظرًا لأهمِيَّة ما كتبه لين بول عن ضمِّ صلاح الدِّين لبلاد الجَزيرة قبل تفرُّغه لجهاد الفِرِنْج، خصصتُ هذا البحثَ. وقمتُ بترجمة النَّصِّ الإنجليزي، وعلَّقتُ عليه عبر التعريف بالأعلام والأماكن، وضبطتُها وَفْقَ ما ورد في المصادر العربية – التاريخية والجغرافية — وما جاء على العملات. كما بيَّنتُ المِظانَّ التي استند إليها لين بول. وقد تجلَّى تمكُّن لين بول من اللُّغة العربيَّة في ترجمته لكلمة (الجَمَّازَة) إلى (Camel)؛ فهي "الناقة" بحسب صاحِب "القاموس المحيط".

المحور الأول– حملة صلاح الدِّين على بلاد الجَزيرة سنة ٥٧٨–٥٧٩هـ/ ١١٨٢–١١٨٣م:

تلقَّى صلاح الدِّين — وهو يُحاصِر بَيْروت في ربيع الآخر ٥٧٨هـ/ أغسطس ١١٨٢م – دَعْوةً من مُظفَّر الدِّين كُوكُبُرِي (Kukbury)[٣] أمير حرَّان (Harran) وقتئذٍ؛ كي يأتي إلى بلاد الجَزيرة للاستيلاء عليها، ويُعلِمه أنَّه مُحِبٌّ لدولته وناصِرُه. فكانت هذه الدعوة سببًا كافيًا لصلاح الدِّين؛ حتَّى يتمكَّن من تَصْفِيَة حِسابه مع آل زَنْكِيٍّ. أخيرًا قد بلغتِ الهُدْنَةُ — أو هُدْنَة الرَّبِّ (Truga Dei) بحسب تعبير لين بول – التي عقدها صلاح الدِّين مع أُمراء بلاد الجَزيرة

(٣) هو أبو سعيد كُوكُبُرِي بن زَيْن الدِّين عليّ كُوجَك بن بُكْتِكِين، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م. و"كُوكُبُري" اسْم تُرْكِيٌّ معناه بالعربيّ: "ذئب أزرق". له ترجمة في: التاريخ الباهِر في الدَّوْلَة الأتابِكيَّة بالمَوْصِل لابن الأثير، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٣٦؛ مِرْآة الزَّمان في تَواريخ الأعْيان لسِبْط ابن الجَوْزِيّ، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ج٢٢، ص٣٢٣–٣٢٥؛ التَّكْمِلة لوَفَيَات النَّقَلة للمُنْذِرِيّ، تحقيق بشَّار عوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ج٣، ص٣٥٤؛ وَفَيَات الأعْيان وأَنْباء أَبْناء الزَّمان لابن خلِّكان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٤، ص١١٣–١٢١؛ مُفرِّج الكُروب في أَخْبار بَني أيُّوب لابن واصِل، تحقيق حسنين مُحَمَّد ربيع، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٥، ص٤٨–٦٢.
ويرد اسمُه في بعض المصادر والمراجع: "كُوكُبُوري"، واتبعتُ في رسمه ما ورد على دَراهِمه رقم (٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩) بالمتحف البريطاني، انظر:
S. Lane-Poole, *Catalogue of Oriental Coins in the British Museum*, London, 1877, vol. iii, pp. 232-238.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

وسُلْطان قُونِيَة السَّلْجوقيّ (Sultan of Konia)[٤] وشاه أَرْمِينِيَة (Shah of Armenia)[٥]، في ١٠ جُمادى الأُولى ٥٧٦هـ/ ٢ أكتوبر ١١٨٠م، على ضفاف نهر سَنْجَة (Senja)[٦]، أَجَلَها[٧]. في الواقِع كان هناك حُلَفاءُ قد عِيلَ صَبْرُهم، ينتظرون فُرْصَةَ التَّرْحيب به عند نهر الفُرات، فرفع صلاح الدِّين حِصارَه عن بَيْروت. وبعد هجومٍ خداعيٍّ على حَلَب التي لم يقِفْ أمامها سِوَى ثلاثة أيَّامٍ (١٨-٢٠ جُمَادَى الأُولَى ٥٧٨هـ/ ١٩-٢١ سبتمبر ١١٨٢م)، عَبَرَ الفُراتَ من عند الْبِيرَة (Bira)[٨]، فسارَعَ تابِعوه إلى لقائه: أَوَّلًا كُوكُبُرِي الذي قد قاده خَوْفُه من جانِب المَوْصِل إلى دَعْوَتِه للغَزْو،

(٤) هو السُّلْطان عِزُّ الدِّين قِلِيج أَرْسْلَان بن مَسْعود بن قِلِيج أَرْسْلَان، المعروف بقِلِيج أَرْسْلَان الثاني (٥٥١-٥٨٨هـ/ ١١٥٦-١١٩٢م)، ومعنى اسْمه "السَّيْف الأَسَد"؛ فقِلِيج أي السيف، وأَرْسْلان اسمٌ تركيٌّ معناه الأَسَد. انظر: وفيَات الأعيان، ج٥، ص٧١. وضبطتُ اسْمَه بحسب ما ذكره لين بول، وهو: Kilij Arslān. انظر:

S. Lane Poole, *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem*, G. P. Putnam's Sons, New York - London, 1906, p. 161; S. Lane-Poole, *The Mohammedan Dynasties: Chronological and Genealogical Tables with Historical Introductions*, Archibald Constable and Company, London, 1893, p. 135.

(٥) كانت إمارة أَرْمِينِيَة تتاخم إقليمَ دِيَار بَكْرٍ، وكانت تُسمَّى أيضًا إمارة سُكْمان القُطْبيّ؛ نسبة إلى مُؤسِّسها سُكْمان الذي كان مولى لأحد أُمَراء السَّلاجِقة، وقدِ اشتهر بمقدرته العسكرية وشهامته؛ لذا دعاه أهالي خِلاط والمناطق المجاورة لتخليصهم من ظلم الأكْراد المَرْوانيين حُكَّام دِيَار بَكْرٍ. فاتَّجه إلى ميَّافارِقِين أَوَّلًا واستولى عليها، ثُمَّ ما لبث أن تمكَّن من إخْضاع معظم بلاد أَرْمِينِيَة، واتَّخذ من خِلاطَ قاعدةً لإمارته، وعندما تُوفِّي سنة ٥٠٥هـ/١١١١م انتقل الحكم من بعده إلى أبنائه الذين توارثوا الإمارة حتَّى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م؛ حيث استولى الأيُّوبيون على أملاكهم. انظر: تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ج٥، ص٣٧٣-٣٨١؛ عماد الدِّين خليل: عماد الدين زَنْكِيّ، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠١٠م، ص٨٢. وتزوَّج عِمادُ الدِّين الخاتُونَ السُّكْمانِيَّةَ سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م. انظر: كتاب الاعتبار لأسامة ابن مُنقِذ، نشرة فيليب حِتّي، جامعة برنستون، ١٩٣٠م، ص٨٨-٨٩.

(٦) يرد أيضًا "صَنْجَة" بالصاد، وهو نَهرٌ عظيمٌ قرب سُمَيْساط، يرمي إلى الفُرات، لا يتهيَّأ خَوْضُه؛ لأنَّ قَرارَه رملٌ سيَّالٌ، كلَّما وطئه الإنسانُ برِجله سال به فغرَّقه، وهو يجري بين حِصْن مَنْصُور وكَيْسُوم، وهما من ديار مُضَر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحَمَويّ، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥؛ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النُّورِيَّة والصَّلاحيَّة لأبي شامة، تحقيق إبراهيم الزّيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص٥٩.

ويجدر بالذكر هنا أنَّ لين بول أثبت الاسْمَ الصحيح والمطابق لـ "معجم البلدان"، لكن بكسر السين، أمَّا عند بهاء الدِّين (النَّوادِر السُّلْطانيَّة والمَحاسِن اليُوسُفِيَّة، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٩٩) فورد: "شنجة"، بينما ورد في طبعة وادي النيل للروضتين الصادرة بالقاهرة سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م (ج٢، ص١٧)، وعند ابن واصل (مُفرِّج الكُروب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٢، ص١٠٠): "شيخة".

(٧) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 162-163.

(٨) هناك أربع مَناطِقَ تحمل هذا الاسْمَ: الأُولَى قرية قديمة ترجع بتاريخها إلى الكنعانيين، وحملتْ في العهد الرُّومانِيّ اسْمَ (Berea)، وتقع على بعد ١٦كم شمال القُدْس، على الطريق المؤدِّي إلى نابُلُسَ. والثانية قرية تقع أيضًا في فلسطين، شمال مدينة بَيْسَان، وبالقرب منها تقع قَلْعَة

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

ثُمَّ نُورُ الدِّين[٩] صاحِب حِصْن كَيْفا (Keyfa)[١٠] الذي أَحْضَر فِرَقَه الحربيَّةَ، وانضمَّ إليه. سقطتْ أمامهم مدنُ بلاد الجَزيرة واحدةً تِلْوَ الأُخْرى. فخضع له حُكَّامُ كُلٍّ من الرُّها (Edessa)، وسَرُوج (Saruj)[١١]، والرَّقَّة (Rakka)، وقَرْقِيسِيَا (Karkisiya)[١٢] ونَصِيبين (Nisibin). وفي خِضَمِّ هذه الانتصارات أتاه الخبرُ بأنَّ الفِرِنْجَ قد أغاروا على قُرَى دِمَشْق. فقال صلاحُ الدِّين: دعوهم؛ "يُخَرِّبون قُرَى ونملك عِوَضَها بِلادًا، ونعود نُعمِّرُها ونَقْوَى على قَصْد بِلادهم"[١٣].

كَوْكَب. أمَّا الثالثة – وهي الواردة بالمتن – فهي مدينةٌ بالقرب من حَلَب، بها قَلْعَةٌ حصينةٌ على الفُرَات في البَرِّ الشرقيّ، ولها وادٍ يُعرَف بوادي الزَّيْتُون. وأمَّا الرابعة، فهي إِلْبِيرَةُ الأَنْدَلُسِ، المدينة المشهورة. انظر: أبا الفِدا: تقويم البُلْدَان، نشرة رينو وديسلان، باريس، ١٨٤٠م، ص٢٦٩؛

Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land*, Jerusalem, 1976, p. 232.

(٩) هو الأمير نُور الدِّين مُحَمَّد بن فَخْر الدِّين قَرا أَرْسْلَان بن داود الأُرْتُقيُّ، (٥٧٠-٥٨١هـ/ ١١٧٤-١١٨٥م). انظر: مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٧٠؛ الروضتين، ج٣، ص٥٥؛ مفرج الكروب، ج٢، ص٩٦.

(١٠) ويُقال: حِصْن كَيْفا، كلمة أَرْمِنِيَّة، والنسبة إليه "الحَصْكَفِيّ"، وهي بلدةٌ وقلعةٌ عظيمةٌ مُشرِفةٌ على دِجْلة بين آمِد وجَزيرة ابن عُمَر من دِيار بَكْر. انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥؛ أَخْبار الدُّوَل وآثار الأُوَل للقِرْمانيّ، تحقيق فهمي سعد، وأحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص٣٥٤؛ بُلْدان الخِلافة الشَّرقيَّة للسترنج، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٤٤. وواظب لين بول على كتابة (Keyfa) بكسر الكاف؛ والصواب بفتحها، انظر في ذلك: اللُّباب في تهذيب الأنْساب لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٦٩؛ تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعْلام للذهبي، تحقيق بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١٥، ص١٧٨؛ طَبَقات الشَّافِعيَّة الكبرى للسُّبْكي، تحقيق عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، ومحمود مُحَمَّد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٨، ص١٣٤.

(١١) بَلْدَةٌ قريبةٌ من حرَّان من دِيَار مُضَرَ. انظر: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦.

(١٢) ترد أيضًا "قَرْقِيسَا" و"قَرْقِيسِياء"، وهي مُعرَّب كركيسيا مأخوذٌ من كركيس، وهو اسْمٌ لأَرْسال الخَيْل المسمَّى بالعربية "الحَلَبْة"، وكثيرًا ما يجيء في الشِّعر مقصورًا. وهي بلدٌ على نهر الخابُور قُرْب رَحْبَة مالِك بن طَوْق، وعندها مصبُّ الخابُور في الفُرَات، فهي في مثلثٍ بين الخابُور والفُرَات. وقِيلَ: سُمِّيتْ بقَرْقِيسِيَا بن طهمورث الفارِسِيّ. انظر: مُعْجَم البُلْدَان، ج٤، ص٣٢٨-٣٢٩؛ الأعْلاق الخَطِيرة في ذِكْر أُمَراء الشَّام والجَزِيرَة لعزِّ الدِّين ابن شدَّاد، تحقيق يحيى زكريا عبَّارة، دار إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٩١م، ج٣، ق١، ص١٥١-١٥٣.

(13) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 169-170.

وهو ينقل عن ابن الأثير، انظر: الكامل في التاريخ، نشرة كارل يوهان تورنبرج، مدينة أوبسالة السويدية، ١٨٥١م، ج١١، ص٣١٧-٣١٩.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

لذلك واصَلَ سَيْرَه إلى المَوْصِل عاصِمَة صِنْوِه المسْلِم الوحيد[١٤]. بَيْدَ أنَّ أسْوار المَوْصِلِ القويَّةَ تصدتْ لجميع هجماته؛ فالسُّورُ والفَصيلُ[١٥] قد مُلِئا بالمدافِعين المتحمّسين، إذ لم تكنْ فيهما شُرَّافةٌ[١٦] إلَّا وعليها مُقاتِلٌ، وغَصَّتِ المدينةُ بالمؤن والذَّخائِر ومُعدَّات الحرب. مع ذلك، كان عِزُّ الدِّين مَسْعودٌ مُستعِدًّا لإنْقاذ مدينته من وَطْأَة الحِصار، حتَّى لو كان ذلك عبر اتِّفاقٍ مُشرِّفٍ، إلَّا أنَّ مَطْلَبَ صلاحِ الدِّين الدَّائمَ كان هو مُلْك حَلَب التي لم يكنْ لدى عِزِّ الدِّين الإرادةُ – بل وربَّما القُوَّة – ليُجبِر أخاه كي يتنازَلَ عنها[١٧]. فسعى حُكَّامُ أرْمِينِيَة وفارِس المجاورون[١٨] للتَّوسُّط، لكن في غير طائلٍ؛ إذ كانت لدى صلاح الدِّين إجابةٌ واحِدةٌ: "إمَّا حَلَب، وإمَّا المَوْصِل"[١٩].

ومن ثَمَّ بدأ التَّطويقُ في ١١ رَجَب ٥٧٨هـ/ ١٠ نوفمبر ١١٨٢م، فاتَّخذ صلاحُ الدِّين لنفسه مكانًا بِحِذاء باب كِنْدة (Kinda Gate)[٢٠]، وقاد أخوه تاجُ الملوك بُوري (Bury)[٢١] الهُجومَ عند باب العِمَادِيَّة (Imadiya

---

(١٤) يقصد الأتابِكَ عِزَّ الدِّين مَسْعود الأوَّل بن قُطْب الدِّين مَوْدُود بن عِماد الدِّين زَنْكِيّ الكبير (٥٧٦-٥٨٩هـ/ ١١٨٠-١١٩٣م). له ترجمة في: التاريخ الباهر، ص١٨١؛ وَفَيَات الأعْيَان، ج٥، ص٢٠٣؛ الأعْلاق الخَطيرة، ج٣، ق١، ص٢٢٧-٢٢٨.

(١٥) الفَصيل في (لِسان العرب): حائِطٌ قصيرٌ دُون سُور المدينة والحِصْن. وقد كان للمَوْصِل سُوران، فأمَّا الأوَّل فقد بناه شَرَفُ الدِّين مُسْلِمُ بن قُرَيْش العَقِيليُّ وبنى فصيلَه الأميرُ شَمْسُ الدِّين جِكِرْمِشُ سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م. وأمَّا السُّور الثاني فبناه عِمادُ الدِّين زَنْكِيٌّ الكبيرُ بعد حِصار الخليفة المسْترشِد بالله في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م. انظر: التاريخ الباهر، ص٧٨؛ رشيد الجميلي: دولة الأتابِكة في المَوْصِل بعد عِمَاد الدِّين زَنْكِيّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م، ص٢١٢-٢١٣.

(١٦) الشُّرَّافة (Weak Joint) زوائدُ تُوضَعُ في أطْراف الأَسْوار؛ تحليةً لها.

(١٧) كان الصَّالِحُ إسْماعيل بن نُور الدِّين قد أوصى قبل موته بتسليم حَلَب إلى ابن عَمِّه عِزِّ الدِّين مَسْعود أتابِك المَوْصِل، ثُمَّ سلَّمها إلى أخيه عِماد الدِّين الثاني صاحِب سِنْجار، وأخذ عوضَها سِنْجارَ، فدخلها عِمادُ الدِّين في ١٣ المحرم ٥٧٨هـ/ ١٩ مايو ١١٨٢م. انظر: التاريخ الباهر، ص١٨٢؛ مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٧٨-٢٧٩؛ الروضتين، ج٣، ص٧٧؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٠٧-١٠٨؛ S. Lane Poole, *Saladin*, p. 165.

(١٨) يقصد بهلوانَ بن إيلدكز صاحِب هَمَذَان، وقَرَا أَرْسْلَان صاحِب أَذْرَبِيجان، وشاه أَرْمن ظَهِيرَ الدِّين سُكْمان صاحِب خِلاط. انظر: الكامل، ج١١، ص٣٢١؛ النَّوادِر السُّلْطانيَّة، ص١٠٢-١٠٣؛ مُفرِّج الكُروب، ج٢، ص١٢٢-١٢٣، ١٣٢.

(19) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 170-171.

وهو ينقل من: الكامِل، ج١١، ص٣٢١. انظر أيضًا: الروضتين، ج٣، ص١٢٤؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

(٢٠) ذكر ابنُ الأثير (التاريخ الباهر، ص١٨٩) أن عِزَّ الدِّين مَسْعودًا هو "الذي فتح البابَ الغربيَّ في المَوْصِل – وهو بين باب كِنْدة وباب العِراق – ولم يكنْ هناك بابٌ فجاء حَسَنًا، وانتفع به أهلُ ذلك الصَّقْع". وانظر: رشيد الجميلي: دولة الأتابكة في المَوْصِل، ص٢١٤؛ ميسون العبايجي: الكامِل في التاريخ لابن الأثير مصدرًا لدراسة خِطَط المَوْصِل في العصر الأتابكي، نشرة إضاءات موصلية، أكتوبر ٢٠١٣م، العدد ٧٦، ص٤. وللمزيد عن أبْواب المَوْصِل، راجع: رحلة ابن جُبَيْر، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص٢١٠؛ رحلة ابن بطوطة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ص٨١.

(٢١) هو تاج المُلوك أبو سعيد بُورِي بن أَيُّوب، وُلِدَ في ذي الحِجَّة سنة ٥٥٦هـ/ نوفمبر ١١٦١م، وهو أصغر أولاد أبيه السِّتَّة، كان أدِيبًا شاعِرًا، له ديوانُ شِعْرٍ. تُوفِّيَ وهو في الثانية والعشرين من عُمُره يوم الخَمِيس ٢٣ صَفَر ٥٧٩هـ/ ١٦ يونيو ١١٨٣م على مدينة حَلَب من

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

Gate)[٢٢]، بينما تولَّى نُورُ الدِّين صاحِب حِصْن كَيْفا مَهمَّةَ باب الجِسْر (Gate of the Bridge)[٢٣]. لكنْ لم تُجْدِ جميعُ جُهُودِهم نَفْعًا أمام البِنَاء الحجريّ المحكَم، ثُمَّ بعد شهرٍ من المحاوَلات العقيمة سحب صلاحُ الدِّين جَيْشَه وسار ثلاثة أيَّامٍ حتَّى وصل إلى سِنْجار (Sinjar)، قاصِدًا إضْعاف معنويات المواصِلَة عبر السيطرة على البلاد المحيطة بهم التي كانوا يعتمدون عليها في الإمدادات. دافعتْ سِنْجارُ دِفاعًا مُستميتًا، ولمدَّة خمسة عشر يومًا ظلَّ صلاحُ الدِّين واقِفًا أمام الأسْوار التي عندها خاض قسطنطينُ (Constantine) معركتَه الكُبْرى ضد سابُور (Sapor) في الأيَّام الخالية[٢٤]، ثُمَّ في الثاني من شهر رَمَضان ٥٧٨هـ/ ٣٠ ديسمبر ١١٨٢م دخل صلاح الدِّين المدينة، فنهبها جُنْده الغاضِبون، وخرقوا كُلَّ قَواعد ضبْط النَّفْس في خِضَمّ أعْمال النَّهب. لم ينجحْ صلاحُ الدِّين إلَّا في حماية النائِب ومُقدَّميه[٢٥]، وسيَّرهم إلى المَوْصِل مُكرَّمين. بعد ترتيب حاميةٍ بسِنْجار، استعدَّ صلاح الدِّين لمواجَهة تحالُف كان قد شكَّله أتابِكُ المَوْصِل وشاهُ أَرْمِينِيَة، وساعَدهما أمير ماردِين (Maridin)[٢٦] وعساكِرُ حَلَب. ثُمَّ في رابِع ذي القَعْدَة ٥٧٨هـ/

طعنةٍ بِرُكبته أصابته لما كان أخوه صلاحُ الدِّين يحاصرها، فدُفِنَ في مَقام إبراهيم عليه السلام بظاهِر حَلَب، ثُمَّ حمله صلاحُ الدِّين بعد ذلك إلى دِمَشْق ودَفَنَه بها. و"بُورِي" لفظٌ تُرْكِيٌّ معناه بالعربية "ذئب". له ترجمة في: مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٩٧؛ الروضتين، ج٣، ص١٦٦؛ وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٠-٢٩٢؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٤٣-١٤٤؛ الدُّرّ المطْلوب في أَخْبار بَني أيُّوب لابن أَيْبَك الدَّواداريّ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٧٧؛ تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٦٢٥. وانظر بعضًا من شعره في: خَريدة القَصْر وجَريدة العَصْر للعِماد الكاتب، "قسم الشعراء الشَّام"، تحقيق شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥م، ج١، ص٣٩٣-٤٠٠؛ جمال الدِّين الشَّيَّال: شاعِر من البيت الأيُّوبِيّ، مجلة الثقافة، ٢٤ يونيو ١٩٤١م، العدد ١٣٠.

(٢٢) أو الباب العِماديُّ نسبة إلى عِماد الدِّين زَنْكِيّ الكبير، أمر بفتْحه في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣، ومنه يُخرَج من الميدان إلى الرَّبَض الأَعْلى. انظر: التاريخ الباهر، ص٧٨؛ العبايجي: الكامِل مصدرًا لدراسة خِطَط المَوْصِل، ص٤.

(٢٣) أحد أبْواب المَوْصِل القديمة، سُمِّي باب الجِسْر نِسْبَة إلى الجِسْر الذي أنشأه مَرْوَان بن مُحَمَّد، وهو جِسْرٌ يربط بين المَوْصِل ونينوى، قريبٌ من الجامِع المجاهِدِيّ بظاهِر المَوْصِل. انظر: دولة الأتابكة في المَوْصِل، ص٢١٤؛ الكامِل مصدرًا لدراسة خِطَط المَوْصِل، ص٣.

(٢٤) دارتْ رَحَى هذه المعركة الشهيرة بين الإمبراطور الرومانيّ قسطنطين والملك سابور الثاني ذي الأكتاف قُرْب سِنْجار في سنة ٣٤٨م، فكان النصر حليف سابُور. انظر: تاريخ الدُّوَل الفارسيَّة في العراق لعليّ ظريف الأعظمي، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٧م، ص٣٤-٣٥. ونلحظ هنا مَزية اتسمت بها كتابات لين بول، وهي ربطه بين الأحداث ونظيرتها من العصر الروماني، وهي سمة تكرَّرت كثيرًا في كتابه عن صلاح الدِّين.

(٢٥) كان نائِبَ سِنْجار وقتئذٍ شَرَفُ الدِّين أمير أميران هندوا، وهو أخو عِزّ الدِّين مَسْعُود صاحِب المَوْصِل. انظر: الكامل، ج١١، ص٣٢١؛ النوادر السلطانية، ص١٠٣؛ مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٨٥؛ الروضتين، ج٣، ص١٢٥؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٢٣.

(٢٦) صاحِبُ ماردِين أيَّامئذٍ هو قُطْبُ الدِّين إيْلغازي بن أَلْبي بن تِمُرْتاش الأُرْتُقيُّ، وهو ابن خال صاحِب المَوْصِل عِزّ الدِّين مسعود وزوج ابنته، وابن أخت شاه أَرْمن ظَهير الدِّين سُكْمان صاحب خِلاط. انظر: الكامل، ج١١، ص٣٢٢؛ مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٨٦؛ الروضتين، ج٣، ص١٤٢؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٣٣.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

سَلْخ فبراير ١١٨٣م تجمَّع جَيْشٌ عظيمٌ على سَهْل حَرْزَم (Plain of Harzem)[٢٧] تحت ماردِين، لكنَّهم لما سَمِعُوا باقْتِراب صلاح الدِّين بعثوا إليه – على الفور – رُسُلًا للتفاوض من أجْل الصُّلْح، فقال: ستكون إجابَتُهم على سهل حَرْزَم. كان تَهْديده كافِيًا؛ إذ ولَّى جميعُ الحُلَفاءِ الأَدْبارَ لا يَلْوُون على شيءٍ، كُلٌّ إلى بلده. وعندما وصل صلاحُ الدِّين إلى السَّهْل، لم يجد هنالك من مُقاومٍ؛ فقال كاتِبُه[٢٨]: "ذهبوا بقُلوبِ النِّساء، وقد جاؤوا وهم رِجالٌ"[٢٩].

رجع الأتابِكُ عِزُّ الدِّين مَسْعودٌ القَهْقَرَى، ومرَّة أُخْرى تحصَّن خلف أَسْوار المَوْصِل، لكنَّ صلاحَ الدِّين لم يُلاحِقْه، وعَدَلَ عن كُلِّ مُحاوَلات الاستيلاء على تلك المدينة في الوقت الرَّاهِن. ثُمَّ لما أكمَلَ تنظيمَ فُتُوحِه في بِلاد الجَزيرة بمُقتضَى نظامه القائِم على الإقْطاعات العسكريَّة، سارَ شمالًا، وبعد حِصارٍ لمدينة آمِد (Amid) دام ثمانيةَ أيَّامٍ – وذلك في ١٤ مُحرَّم ٥٧٩هـ/ ٦ مايو ١١٨٣م – استولَى عليها، برغم الحامِل (Enceinte)[٣٠] المُزْدَوِج لأسْوارها الضخمة المشيَّدة من البازَلت الأسود، وأبْوابها المصنوعة من الحديد، والخَنْدَق المائيّ المشكَّل طبيعيًّا عبر منحنى على شكل هلالٍ في نهر دِجْلة. كانت هذه المدينة زاخِرةً بالغَنَائِم الثمينة، وبالأسلحة الوفيرة. فوهب صلاح الدِّين مكتبتها الضخمة المكوَّنة من "مليون كِتابٍ"[٣١] إلى مُستَشاره المثقَّف – القاضي الفاضِل – الذي انتخب منها حِمْلَ سَبْعين جَمَّازةً[٣٢]. ثم أقطَع صلاحُ الدِّين هذا المِعْقَلَ إلى نُور الدِّين صاحِب حصن كَيْفا، حليفه الوَفِيّ الشَّهْم. وفي تلك الأثناء وصله خبرٌ مَفاده أنَّ عِمادَ الدِّين الثاني صاحِب حَلَب قد أبرَم اتِّفاقًا مع الفِرِنْج، وأنَّهم يضرمون النَّارَ في زُروع بلاده بالشَّام ويضعون السَّيْفَ على رِقاب أهلها؛ لذلك سارَع صلاح الدِّين بعبور نهر الفُرات من الْبِيرَة، مُسْتَوليًا في طريق عودته على عَيْن تاب (Hatap)[٣٣].

---

(٢٧) ضَيْعةٌ بين ماردِين ودُنَيْسَر، وهي من أعْمال ماردِين. انظر: مُعْجَم البُلْدَان، ج٢، ص٢٤٠؛ الروضتين، ج٣، ص١٤٢.

(٢٨) يقصد العِماد الكاتِب، انظر: البَرْق الشَّاميّ، تحقيق فالح صالح حسن، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمَّان، ١٩٨٧م، ص٨٣. وانظر: سَنا البَرْق الشَّاميّ للفتْح البُنْداريّ، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢١٧.

(29) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 171–172.

ونقل المؤلف قول العِماد الكاتِب من: الروضتين، ج٣، ص١٤٣.

(٣٠) الحامِل (Enceinte) مصطلحٌ فرنسيٌّ يشير إلى "الضميمة الدفاعية الرئيسة للتحصين". ويمثل للقلعة الخطَّ الدفاعيَّ الرئيسَ لأبراج جدارها والجدران الساترة المحيطة بها. راجع:

Hugh Chisholm, "*Enceinte*", Encyclopædia Britannica, 9 (11th ed.), Cambridge University Press, 1911, p. 368; Stephen Friar, *The Sutton Companion to Castles*, Stroud: Sutton Publishing, 2003, p. 105.

(٣١) عزا لين بول هذا الاقتباس إلى ابن أبي طيّ، نقلًا عن أبي شامة. انظر: الروضتين، ج٣، ص١٤٦.

والعدد الدقيق – بحسب أبي شامة، ونقلًا عن ابن أبي طيّ أيضًا – هو: مليون وأربعون ألف كتابٍ.

(٣٢) الجَمَّازَةُ في (القاموس المحيط): الناقة؛ فأوردها لين بول: Camel. وفي (المعجم الوسيط ١: ١٣٥) مركبٌ سريعٌ يتَّخذه النَّاسُ في المدن، شبه العجلة التي تجرُّها الخيلُ. وانظر: الروضتين، ج٣، ص١٤٦، هامش ٣.

(٣٣) قلعةٌ حصينةٌ ورستاق بين حَلَب وأَنْطَاكِيَّة، وكانت تُعرَف بدُلُوك، ودُلُوك رستاقها. انظر: معجم البلدان، ج٤، ص١٧٦.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

وفي ٢٦ مُحرَّم ٥٧٩هـ/ ٢١ مايو ١١٨٣م خيَّم صلاح الدِّين في الميْدان الأَخْضَر (Green Meydan) أمام حَلَب. لم يُبْدِ عِمادُ الدِّين الثاني مُقاوَمةً طويلةً؛ فهو لم يكنْ مَحْبوبًا من قِبَل أهل حَلَب، فرامَ العَوْدةَ إلى مَعْقِله الأوَّل بسِنْجار. وكان صلاح الدِّين من جانبِه حريصًا كُلَّ الحرص على تقويَة إمبراطوريته بمُلْك عاصِمة شمال بلاد الشَّام. فدارتِ المفاوَضاتُ حول العِوَض مُقابِل تسليم حَلَب، فأُعِديتْ ولايةُ سِنْجار بمدنها التابِعة لها – نَصِيبِين وسَرُوج والرَّقَّة – إلى عِماد الدِّين الذي كان عليه أنْ يحكُمَها كتابِعٍ لصلاح الدِّين، بشرط مُشارَكته في جهاد الفِرِنْج عندما يُطلَب منه ذلك(٣٤).

إنَّ مُلْكَ حَلَب جعل صلاحَ الدِّين أقوى حاكمٍ مُسْلِمٍ(٣٥). فمن دِجْلَة إلى النِّيل، وعلى طول السَّاحِل الإفْريقيّ حتَّى طَرابُلُس، وكثير من المدن الكبرى وشعوب شتَّى، كُلُّ ذلك أقرَّ بسُلْطته. ودُعِيَ له في الجَوَامِع من مكَّةَ إلى بلاد الجَزيرة. لذلك لما كتب إلى البابا لوسيوس الثالث (Lucius III)(٣٦) استخدم صيغةَ "ملك جميع ملوك الشَّرْق (*Rex omnium regum orientalium*)"، ومن ثَمَّ كان – وبلا شكٍّ – بالنسبة لجميع الأُمَراء الشرقيين الواقِعين ضمن حيِّزه هو الملكُ السَّيِّدُ. لكنْ كي يكون المسيطِرَ بلا مُنازِعٍ على هذه الرُّقْعة الواسِعة، كان ما يزال عليه اتِّخاذ خُطْوة أُخْرى؛ فهو لم يَعُدْ لديه ما يخشاه من قِبَل الشرق ولا الشمال: فالمَوْصِلُ رُوِّعَتْ، وسُلْطانُ قُونِيَة السَّلْجوقيُّ صار صديقًا، لكنْ بَقِيَ حتَّى الآن ذلك القِطاعُ الضَّيِّقُ من الأَرْض الممتدة وراء الجِبال بمُحاذاة السَّاحِل الشَّاميّ من أَنْطاكِيَّة (Antioch) إلى عَسْقلان (Ascalon) – أي المدن الواقِعة خلف نَهْرَي العاصِي (The Orontes) والأُرْدُنّ (The Jordan)، ومرتفعات لُبْنَان الحاجِزة – وأَهمُّ من ذلك كُلِّه بقي بَيْتُ المقْدِس نفسُه، وهو المقَدَّس لدى المسْلِمين والمسِيحيين على سَواءٍ. ذلكم القِطاعُ من الأقاليم المعادية الذي شَطَرَ مَمْلكتَه، وتلكم الحُصونُ والمدنُ والأماكنُ المقدَّسةُ التي

---

(34) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 172-173.

والمؤلف ينقل من: الكامل، ج١١، ص٣٢٤-٣٢٦، ٣٢٧؛ النوادر السلطانية، ص١٠٢-١٠٤؛ الروضتين، ج٣، ص١٤٥-١٤٦، ١٥٧-١٥٨.

(٣٥) قال صلاحُ الدِّين لما مَلَكَ حَلَبَ: "واللهِ ما سُرِرْتُ بفَتْح مدينة كسُرُوري بفتْح هذه المدينة، والآن قد تبيَّنتُ أنَّني أملك البلادَ، وعَلِمْتُ أنَّ مُلْكي قدِ استقرَّ وثَبَتَ". انظر: الروضتين، ج٣، ص١٦٨. وقال ابنُ الأثير (الكامل، ج١١، ص٣٢٧): "واستقرَّ مُلْكُ صلاحِ الدِّين بمُلْكِها – وكان مُزَلْزَلًا – فثَبَتَ قَدَمُه بتسليمها، وكان على شَفَا جُرْفٍ هارٍ".

(٣٦) نُشِرَتْ بعضُ رسائل صلاح الدِّين باللاتينية. منها واحدةٌ إلى البابا سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م يُقِرُّ فيها بتسلُّم خطابٍ عبر أوليفر فيتاليس (Oliver Vitalis) بشأن أَسْرى الحرب. ورسالةٌ أقدمُ من العادِل إلى البابا لوسيوس الثالث (Lucius III) تتعلَّق بالموضوع ذاته. يوجد أيضًا خطابان إلى فِرِدْرِيك بَرْبَروسَّا (Frederick Barbarossa)، وواحدٌ من الإمبراطور إلى صلاح الدِّين. يمكن الاطِّلاع عليها في:

Ralph de Diceto, ed. Stubbs, vol. ii., pp. 25-27, 56, 57; *Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi* (*1190-1192*), ed. Stubbs, Rolls Series, Vol. xxxviii. a, London, 1864, vol. i., pp. 37-42.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

كانت ما تزال تُحكَمُ بقَبْضةٍ حديديَّةٍ من قِبَل أعْدائه، وذلكم الوادي السَّعيدُ من نهر الأُرْدُنِّ حيث تُقْرَعُ أَجْراسُ الصليبيين الخَشَبيَّةُ بقُوَّةٍ بدلًا من شَدْوِ المؤذِّن العَذْب المهيب، كُلُّ هذا كان حَجَرَ عَثْرةٍ أمام "سُلْطان الإسْلام والمسْلِمين". وكي تعودَ المدينةُ المقدَّسةُ إلى كَنَف المؤمنين كَرَّةً أُخْرى وتُكسَر شَوْكَةُ الفِرِنْج، لا يمكن – فيما يخصُّه هو على الأقلِّ – أنْ يَخْلُدَ للرَّاحة[٣٧].

المحور الثاني– حملة صلاح الدِّين الثانية على بلاد الجَزيرة سنة ٥٨١هـ/١١٨٥–١١٨٦م:

لما عاد صلاحُ الدِّين إلى دِمَشْق وأقام بها، سيَّر إليه أتابِكُ المَوْصِل القاضي بَهاءَ الدِّين ابنَ شدَّادٍ في بعثةٍ دبلوماسيَّةٍ، وعهد إليه – وبمُوافَقة الخليفة العبَّاسيّ النَّاصِر لدِين الله – بإبْرام شُروط الصُّلْح مع صلاح الدِّين. فقَدِمَ بَهاءُ الدِّين إلى دِمَشْق في ١١ ذي القَعْدَة ٥٧٩هـ/ ٢٥ فبراير ١١٨٤م – صُحْبَة "شَيْخ الشُّيوخ" بَدْر الدِّين[٣٨] – فلَقِيَ من صلاح الدِّين كُلَّ جميلٍ من الإكْرام والاحْتِرام. وبرَغْم عدم قدرة بَهاء الدِّين على التَّوصُّل إلى اتِّفاقٍ، إلَّا أنَّه ثبت في نَفْسِ صلاح الدِّين منه أَمْرٌ، حتَّى إنَّه عرض عليه مَنْصِبًا[٣٩] يتولَّاه؛ ليكون في خدمته. ولكون بَهاء الدِّين سفير أميرٍ مُنافِسٍ، لم يستطِعْ أنْ يقبَل هذا العرضَ[٤٠]؛ فعادتِ البعثةُ إلى المَوْصِل في ٧ ذي الحِجَّة ٥٧٩هـ/ ٢٢ مارس ١١٨٤م[٤١].

أعقَب ذلك سفاراتٌ أُخْرى من سِنْجَر شاه (Sinjar-Shah)[٤٢] – صاحِب جَزيرة ابن عُمَر، وابن أخي عِزِّ الدِّين مَسْعود أتابِك المَوْصِل – ومن صاحِب إرْبِل (Arbela)[٤٣]، اللذين قدَّما الولاءَ لصلاح الدِّين على أنَّهما من

(37) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 173-174.

(٣٨) أورد لين بول هذا اللقبَ مُعتمِدًا على نشرة Albertus Schultens لكتاب النوادر السلطانية الصادرة في لَيْدن سنة ١٧٣٢م (ص٥٦)، في حين أجمعتِ المصادرُ العربيَّة – بما فيها نشرة الشيال لـ (النوادر السلطانية، ص١١١) – على أنَّ لقبَه هو "صَدْر الدِّين". وهو شَيْخُ الشُّيُوخ أبو القاسِم عبد الرَّحيم بن أبي البَرَكات إسْماعيل النَّيْسابوريُّ ثُمَّ البَغْدادِيُّ، تُوفِّي في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م. له ترجمة في: مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٠٢–٣٠٣؛ الروضتين، ج٣، ص٢١٠–٢١١؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٥٥؛ تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٦٤٠.

(٣٩) عرض عليه التَّدْريسَ بمَدْرَسَة مَنازِل العِزِّ بالفُسْطاط؛ لوفاة مُدرِّسها البَهَاء الدِّمَشْقِيّ. انظر: النوادر السلطانية، ص١١٢؛ وفيات الأعيان، ج٧، ص٨٨.

(٤٠) لم يلتحِقْ بَهاءُ الدِّين بخدمة صلاح الدِّين ليكون أحدَ مُستشاريه إلَّا في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م. انظر: النوادر السلطانية، ص١٣٩–١٤١؛ الروضتين، ج٤، ص٧؛ وفيات الأعيان، ج٧، ص٨٨.

(41) S. Lane Poole, *Saladin*, p. 191.

ولين بول يعتمد على رواية بَهاء الدِّين نفسِه، انظر: النَّوادر السُّلْطانية، ص١١٢، ١٣٩–١٤١.

(٤٢) هو مُعِزُّ الدِّين سِنْجَر شاه بن سَيْف الدِّين غازي الثاني بن قُطْب الدِّين مَوْدود بن زَنْكِيّ الكبير، كان ظالِمًا لرعيته وجُنْده وحريمه، حتَّى إنَّه سجن أولاده بقلعةٍ؛ فقتله ابنُه غازي في سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م. له ترجمة في: المذيَّل على الروضتين لأبي شامة، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، ودار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠١٠م، ج١، ص٢٠٢؛ مفرج الكروب، ج٣، ص١٨٧–١٨٩؛ سير أعْلام النُّبلاء،

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

أتْباعه[٤٤]. وبدهيٌّ استاء أتابِكُ المَوْصِل من هذه الانْشقاقات، وشرع في مُعاقَبة صاحِب إرْبِل الذي جلبتِ اسْتِغاثتُه في النِّهاية صلاحَ الدِّين إلى المنطقة من جديدٍ؛ إذ قَطَعَ الفُراتَ —كما حدث في حملته السابقة – من عند الْبِيرَة في ١٢ مُحَرَّم سنة ٥٨١هـ/ ١٥ إبريل ١١٨٥م، فانضمَّ إليه كُوكُبُرِي[٤٥]، وعَلِمَ وهو برَأْسِ العَيْن (Ras-el-Ayn)[٤٦] أنَّ هناك ائْتِلافًا بين أُمَراء البلاد الشرقيَّة من أجْل الدِّفاع عن أتابِك المَوْصِل[٤٧]. لم يُلقِ صلاحُ الدِّين بالًا بتهديداتهم، وسارَ صَوْبَ دُنَيْسَر (Duneysir)[٤٨] عند سَفْح تَلِّ ماردِين؛ حيث انضمَّتْ إليه عَساكِرُها، فوصل أمام أسْوار مدينة المَوْصِل في شهر ربيع الأوَّل سنة ٥٨١هـ/ يونيو ١١٨٥م[٤٩]. وسُدًى سيَّر الأتابِكُ والِدَتَه وغَيْرَها من الخَوَاتِين؛ ليشفَعن إليه ويسألنه المصالَحَةَ؛ إذِ استُقبِلن بكُلِّ احْتِرامٍ، لكنْ لم يُعْطَ لهنَّ أيُّ وَعْدٍ[٥٠]: لقد كان صلاحُ الدِّين صعبَ المِراس[٥١].

تحقيق بشار عواد معروف، ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦م، ج٢١، ص٥٠٧؛ تاريخ الإسلام، ج١٣، ص١١١-١١٢.

(٤٣) يقصد زَيْنَ الدِّين يُوسُف بن عليّ كُوجَك بن بُكْتِكِين، الأخ الأصغر لكُوكُبُرِي، تُوفِّي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م. انظر: الروضتين، ج٣، ص١٩٨.

(٤٤) انظر عن سفارتيهما: النوادر السُّلْطانيَّة، ص١١٣؛ الروضتين، ج٣، ص١٩٧-١٩٨؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٥٦.

(٤٥) ذكر ابن الأثير أنَّ صلاحَ الدِّين لما وصل إلى حرَّان قبض على صاحِبها كُوكُبُرِي؛ لأنَّه كان قد بذل لصلاح الدين خمسين ألف دينارٍ إنْ هو قصد المَوْصِل، فلمَّا وصل صلاحُ الدِّين إلى حرَّان لم يَفِ له بما بذل من المال وأنكر ذلك؛ فقبض عليه، ثُمَّ أطلقه وأعاد إليه مدينتَي حرَّان والرُّها؛ مخافةَ انحراف النَّاس عنه ببلاد الجَزيرة. انظر: الكامل، ج١١، ص٣٣٦.

(٤٦) أو "رَأْس عَيْن"، تنطقها العامَّة "رَأْس العَيْن"، وهي مدينةٌ كبيرةٌ مشهورةٌ من مدن بلاد الجَزيرة بين حرَّان ونَصِيبين ودُنَيْسَر، ومشهورة بكثرة عيونها التي تُشكِّل المنبعَ لنهر الخابُور. انظر: معجم البلدان، ج٣، ص١٣-١٤.

(٤٧) علم صلاحُ الدِّين ذلك من رسول الملك قِلِيج أَرْسْلَان بن مسعود السَّلْجوقيّ صاحِب بلاد الرُّوم. انظر: النوادر السُّلْطانية، ص١١٦: الروضتين، ج٣، ص٢٢٧؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٦٥.

(٤٨) بلدةٌ عظيمةٌ مشهورةٌ من نواحي بلاد الجَزيرة قُرْب ماردِين، بين نَصِيبِين ورأس عَيْن. يأتي إليها التُّجَّارُ من جميع الجهات؛ فهي مَجْمَعُ الطُّرقات، ولهذا قِيل لها: دُنَيْسَر، وهي لفظٌ مُرَكَّبٌ عجميٌّ، وأصله دنياسر، ومعناه رأس الدنيا، وعادة العجم في الأسماء المضافة أن يُؤخِّروا المضافَ عن المضاف إليه، و"سر" بالعجميّ رأس. ولها اسْمٌ آخَرُ يُقال لها: "قوج حِصار". انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٤٧٨؛ وفيات الأعيان، ج٥، ص١٤٧. وضبطها ياقوت بكسر السين، والمثبت وفق ما ذكره ابنُ خَلِّكان ولين بول.

(٤٩) انظر: النوادر السلطانية، ص١١٦-١١٧؛ الروضتين، ج٣، ص٢٢٧-٢٢٨؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٦٥-١٦٦.

(٥٠) لما قدمتْ والِدةُ الملك عِزِّ الدِّين مَسْعود ومعها ابنةُ نُورِ الدِّين محمود إلى مُعسكَر صلاحِ الدِّين بمدينة بَلَدٍ قبل المَوْصِل، أحضر صلاحُ الدِّين أصْحابَه واستشارهم فيما يفعله ويقوله، فأشار أكثرُهم بإجابتهن إلى ما طلبن منه، إلَّا أنَّ الفقيهَ ضِياء الدِّين عيسى الهكَّاريّ وعليَّ بن أحمد المشْطوب – وهما من بلد الهكَّاريَّة من أعْمال المَوْصِل – قالا له: "مِثْل المَوْصِل لا يُترَك لامرأةٍ؛ فإنَّ عِزَّ الدِّين ما أرسَلهنَّ إلَّا وقد عجز عن حِفْظ البلد"، فوافق ذلك هوى صلاح الدِّين بأنَّه سيملك البلدَ، فأعادهنَّ خائباتٍ، لكنَّه سَرْعانَ ما ندم نَدامةَ الكُسَعِيّ على ردِّهنَّ بعد أنْ رأى اسْتِماتةَ المواصِلَة في الدِّفاع عن مدينتهم. انظر: الكامل، ج١١، ص٣٣٧. وفي (مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٠٥؛

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

استعدَّ المواصِلَةُ للأسوإ، وبذلوا أنفسَهم بقُوَّة اليأس، فأثبت الحِصارُ فَشَلَه كسَابِقه. وقدَّم خِلافٌ وقع في أَرْمِينِيَة ذَرِيعَةً لأجْل سَحْب صلاح الدّين جَيْشه المنهَك بعيدًا، إلى دِيَار بَكْرٍ (Diyar-Bekr) المعروفة بجوّها الطَّيِّب. وأخذ صلاحُ الدّين مدينةَ ميَّافارِقِين (Mayyafarikin)[٥٢] في ٢٩ جُمادَى الأُولَى ٥٨١هـ/ آخِر أغسطس ١١٨٥م، ثُمَّ عاد لمحاصَرة المَوْصِل. لكنِ الآن قد أتى مَوْسَمُ الأَمْطار بعد قَيْظ الصَّيْف الحارِق، ولم يكنِ القائِدُ ولا القُوَّاتُ قادِرين على تحمُّل المناخ غير الصحيّ. فبدأ بصلاح الدّين مرضٌ أزعَجه وأقلَقه؛ فاضطرَّ إلى الرحيل إلى حرَّان لأجْل تغيير الهواء؛ ولأنَّه كان بالكاد قادِرًا على امْتِطاء صَهْوَة فَرَسِه، وصل إلى قَلْعة صديقه كُوكُبُرِي وهو شبه ميّتٍ. بادَرَ إليه أخوه العادِلُ من حَلَب ومعه أَطِبَّاءُ البَلاطِ، لكن بقي صلاحُ الدّين يتأرجَحُ ما بين الحياة والمَوْت فترةً طويلةً[٥٣]. وفي هذه الأجواء الضبابية أُرجِف بدُنُوّ أجَله، ففكَّر كثيرٌ من أقارِبه في فُرْصة خِلافَته، بَلْ إنَّ صلاحَ الدّين نفسَه فقدَ الأمَلَ؛ فجمَع مُقدَّمِيه وحلَّفهم لأوْلاده[٥٤].

بعد أنْ جاوَزَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ بدأ صلاحُ الدّين يتماثَلُ للشفاء، ولكنْ ببطءٍ، وبحُلول أوائل ذي الحِجَّة سنة ٥٨١هـ/ نهاية فبراير ١١٨٦م كان قادِرًا على اسْتِقبال سفارةٍ من المَوْصِل على رأسها بَهاءُ الدّين الذي أتى للتفاوض من أجْل الصُّلْح[٥٥]. ولأنَّ صلاحَ الدّين كان أَضْعَفَ من أنْ يُفكِّر في القيام بحَمْلةٍ، ومع رِقَّةٍ في قلبِه رُبَّما بسببٍ من المرض والخطر، رَضِيَ باتِّفاقٍ (في يوم عَرَفَة ٥٨١هـ/ ٣ مارس ١١٨٦م)، أخذ بمُوجِبه جميعَ البلاد الواقِعة حول شَهْرَزُور (Shahrzur)[٥٦] – أي ما وراء نهر الزَّاب – لكنَّه ترك للأتابِك عِزِّ الدّين مَسْعود مُلْكَ بلادِ بين نَهرَي دِجْلة والفُرات

الروضتين، ج٣، ص٢٣٤؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٧٠-١٧١) أنَّ شفاعةَ والِدَة عِزِّ الدين مسعود كانت بعد مُلْكِ صلاح الدّين مدينةَ ميَّافارِقِين.

(51) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 191-192.

ولين بول يعتمد على رواية ابن الأثير، انظر: الكامل، ج١١، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٥٢) أشهر مدينة بدِيَار بَكْر، سُمِّيتْ "مَيَّا بِنْتٍ" باسْمِ أوَّل مَنْ بنتها، و"فارقين" هو الخِلاف بالفارسية يُقال له: بارجين؛ لأنَّها كانت أحسنت خندقها؛ فسُمِّيتْ بذلك. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٥-٢٣٨.

(٥٣) عن مرضة صلاح الدّين المشهورة بحرَّان، راجع: النوادر السلطانية، ص١١٩؛ مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٠٥؛ الروضتين، ج٣، ص٢٣٥؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٧١.

(54) S. Lane Poole, *Saladin*, pp. 192-193.

ويعتمد لين بول على ابن الأثير، انظر: الكامل، ج١١، ص٣٣٩-٣٤١.

(٥٥) انظر: النوادر السلطانية، ص١١٩-١٢٠؛ الروضتين، ج٣، ص٢٣٧؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٧٢.

(٥٦) إحدى كُور إقليم حُلْوان، تقع بين إرْبِل وهَمَذَان، ومعناها "نصف الطريق"، وكانت منتصفَ طريقهم إلى بيت نارٍ لهم، وكانت مضمومةً إلى المَوْصِل حتَّى فُرِّقتْ في آخِر حكم الرَّشيد. انظر: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٥-٣٧٦.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

التي كانت وقتئذٍ تحت سيطرته[٥٧]، شريطة اعْتِرافه الكامِل بسيادته عبر الخُطْبة له على المِنابِر وضرْبِ السِّكَّة باسْمِه[٥٨]. وبمُقْتضَى هذا الاتِّفاق ضُمِّتْ جميعُ بلاد الجَزيرة الشماليَّة وجُزْءٌ من كُرْدِسْتان إلى إمبراطورية صلاح الدِّين[٥٩]، وغدا أتابِكُ المَوْصِل أحدَ أتْباعه[٦٠].

الخاتمة:

اعتمد لين بول في حديثه عن حملة صلاح الدِّين لضمِّ إقْليم الجَزيرة على:

- "الكامِل في التاريخ" لابن الأثير نشرة المستشرق السويدي تورنبرج (Tornberg) الصادرة في لَيْدن في السنوات ١٨٦٦-١٨٧٦م، ولم يُخرِّج اقتباساته منه، فقمتُ بعزوها.
- "النَّوادر السُّلْطانية" لبَهاء الدِّين ابن شدَّاد نشرة المستشرق الهولندي شولتنز (Schultens) الصادرة في لَيْدن سنة ١٧٣٢م، ولم يُخرِّج اقتباسه منه كذلك، فقمتُ بالتنويه إليها وعزوها هي الأخرى. كما بيَّنتُ ما أورده لين بول مُصحَّفًا، نقلًا عن هذه النشرة القديمة؛ فذكر لقبَ شيخ الشيوخ إسْماعيل البغداديّ المتوفَّى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م "بَدْر الدين"، في حين أجمعتِ المصادر العربية على أنَّ لقبه "صَدْر الدِّين".
- "البَرْق الشَّاميّ" للعِماد الكاتب، نقلًا عن "الروضتين" لأبي شامة، طبعة وادي النِّيل الصادرة بالقاهرة سنتَي ١٨٧٠-١٨٧١م.
- "السِّيرة الصَّلاحيَّة" لابن أبي طيٍّ، نقلًا عن "الروضتين" لأبي شامة.
- هذا بجانب أربع عملاتٍ بالمتحف البريطاني أوردهما لين بول؛ ليُبيِّن تبعيةَ حكَّام إقليم الجَزيرة لصلاح الدِّين، وقد أَثبتُّ ما ورد على هذه العملات من كتاباتٍ؛ لفائدتها.

---

(٥٧) كان صلاحُ الدِّين قد أخذ البلادَ الواقعة بين نهرَي دِجْلة والفُرات من المعزِّ سِنْجَر شاه صاحِب جَزيرة ابن عُمَر، وأعطاها للمَواصِلة ضمن شروط هذا الاتِّفاق. انظر: النوادر السلطانية، ص١٢٠.

(٥٨) للمزيد عن هذا الاتِّفاق، راجع: الكامل، ج١١، ص٣٤٠-٣٤١؛ النوادر السلطانية، ص١٢٠؛ مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٠٥؛ الروضتين، ج٣، ص٢٣٥-٢٣٧؛ مفرج الكروب، ج٢، ص١٧١-١٧٢.

(٥٩) تُوضِّح عملاتٌ معدنيةٌ في المتحف البريطانيّ أنَّ اسْمَ صلاح الدِّين قد ظهر على أنَّه سيِّدٌ مُهيمِنٌ على عملة أُمَراء بلاد الجَزيرة التالِينَ، في السنوات المذكورة: أَمير مارِدِين (يُولُق أَرْسْلَان) في ٥٨١هـ، ٥٨٣هـ، ٥٨٤هـ، ٥٨٥هـ، ٥٨٦هـ أو ١١٨٥-١١٩٠م؛ أمير حِصْن كَيْفا (سُكْمان) في ٥٨١هـ، ٥٨٤هـ أو ١١٨٥-١١٨٨م؛ أمير الجَزيرة (سِنْجَر شاه) في ٥٨٤هـ، ٥٨٥هـ أو ١١٨٨-١١٨٩م؛ سيِّد إرْبِل (كُوكُبُرِي) في ٥٨٧هـ/١١٩١م؛ وأتابِك المَوْصِل (عِزّ الدِّين مَسْعود) في ٥٨٥هـ، ٥٨٦هـ، ٥٨٧هـ أو ١١٨٩-١١٩١م. وانظر لوحة العملات المعدنية التالية. انظر:

S. Lane Poole, *Saladin*, p. 193, footnote no. 1.

(60) S. Lane Poole, *Saladin*, p. 193.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

عملاتٌ لأتْباع صلاح الدِّين في بلاد الجَزيرة

أمير حِصْن كَيْفا(٦١)

أمير ماردِين(٦٢)

كُوكُبُري صاحِب إرْبِل(٦٣)

(٦١) عملةٌ نحاسيةٌ بالمتحف البريطاني، رقم (٣٤٠)، ضُرِبَتْ في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م. كُتِبَ على وجهها /سنة أربع وثمنين و/ خمسمئة/. ويوجد شكلٌ لتمثالَيْنِ نصفَيْن، ظهرًا لظهرٍ. [وهذا الشكلُ مُقتبَسٌ من عملة الإمبراطور أغسطس والقائد أغريبا التي ضُرِبَتْ بنيموسوس]. وكُتِبَ على الظهر في الجانب الأيسر /الملك الناصر/. وكُتِبَ في الجانب الأيمن /يوسف بن أيوب/. وكُتِبَ في الوسط /لدين الله/ الملك العادل قطب/ الدين سُكْمان بن/ مُحَمَّد بن قَرا أَرْسْلَان/ بن أُرْتُق مُعِين الإما/م الناصر/. انظر:

S. Lane-Poole, *Catalogue of Oriental Coins*, vol. iii, p. 129.

(٦٢) عملةٌ نحاسيةٌ بالمتحف البريطاني، رقم (٣٩٨)، ضُرِبَتْ في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م. كُتِبَ على وجهها في الجانب الأيمن /حسام الدين يُو/. وفي الجانب الأيسر /لُق بن إيْل غازي/. ويوجد شكلٌ لتمثالٍ نصفيٍّ، على رأسه إكليلٌ، ويده اليمنى على صدره. [من المحتمل أنه مُقتبَسٌ من عملة أرتافاسديز ونقفور: لكنَّ الثوبَ مربوطٌ في الوسط، بينما يكون على العملة البيزنطية مربوطًا على الكتف الأيمن]. وكُتِبَ على الظهر داخل نجمة سداسية ذات صفوفٍ منقوطة /أيوب/ الملك الناصر/ صلاح الدنيا/ والدين يوسف/ بن/. وكُتِبَ بين النجمة السداسية والدائرة الخارجية المنقوطة /ضرب/ سنة/ أحد/ ثماني/ خمس/ مائة/. انظر:

Catalogue of Oriental Coins, vol. iii, p. 148.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م /ذو القعدة ١٤٤٣هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢
ISSN. 1815-8854

أتابِك المَوْصِل(٦٤):

قائمة المصادر والمراجع

أولًا–المصادر والمراجع العربية:

١–ابن الأثير.(١٨٥١م).الكامل في التاريخ.(نشرة، كارل يوهان تورنبرج).مدينة أوبسالة السويدية.

٢–ابن الأثير.(١٩٨٠م).اللُّباب في تهذيب الأنْساب.دار صادر.بيروت.

٣–ابن الأثير.(١٩٩٥م).التاريخ الباهِر في الدَّوْلَة الأتابِكيَّة بالمَوْصِل. (تحقيق، د.عبد القادر أحمد طليمات).دار الكتب الحديثة. القاهرة.

٤–ابن بطوطة.(١٩٨٧م).الرحلة.ط١.دار إحياء العلوم.بيروت.

٥–ابن جُبَيْر.(١٩٦٧م).الرحلة.دار صادر.بيروت.

٦–ابن خلدون.(٢٠٠١م).تاريخ ابن خلدون.(تحقيق، أ.خليل شحادة).دار الفكر.بيروت.

٧–ابن خلِّكان.(١٩٧٨م).وَفَيَات الأعْيان وأَنْباء أَبْناء الزَّمان.(تحقيق، د.إحسان عبّاس).دار صادر.بيروت.

---

(٦٣) عملة نحاسية بالمتحف البريطاني رقم (٦٥٢)، ضُرِبَتْ في إرِبْل في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. على وجهها يوجد تمثالٌ يتجه ناحية اليمين، وكُتِبَ /الملك الناصر يوسف بن أيوب كوكبري بن علي/. وكُتِبَ على ظهرها /نصر الله/ الناصر لدين/ أمير المؤمنين عدة/ الدنيا والدين أبو/ مُحَمَّد. وكُتِبَ في الهامش /بسم الله ضرب هذا الفلس بإربل سنة سبع وثمانين/ ... ستمائة/ لدين/. انظر:

Catalogue of Oriental Coins, vol. iii, p. 232.

(٦٤) عملة نحاسية بالمتحف البريطاني رقم (٥٢٩)، ضُرِبَتْ بالمَوْصِل في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. على وجهها صورة شخص جالس القرفصاء يحمل هلالًا بين يديه المرفوعتين، وأسفل مرفقيه نجمٌ. وعلى جانبَي الشخص خارج الهلال كُتِبَ في اليمين /ضرب بالموصل/. وفي الشمال /وثمانين وخمسمائة/. وعلى جانبَي الرأس، داخل الهلال، على اليمين كُتِبَ /سنة/. وفي الشمال /خمس/. وعلى ظهرها، كُتِبَ في الجانب الأيمن /الملك العادل/. وفي الجانب الأيسر /الملك الناصر/. وفي الوسط /مسعود بن مودود/ لا إله إلا الله مُحَمَّد/ رسول الله الناصر/ لدين الله أمير المؤ/منين عدة الدنيا و/الدين أبو نصر مُحَمَّد/ [يوسف بن أيوب]/. انظر:

Catalogue of Oriental Coins, vol. iii, p. 186.

ISSN. 1815-8854

٨-ابن شداد.بهاء الدِّين.(١٩٩٤م).النَّوادِر السُّلْطانيَّة والمحاسِن اليُوسُفِيَّة.(تحقيق، د.جمال الدين الشيال).مكتبة الخانجي.القاهرة.

٩-ابن شداد.عز الدين.(١٩٩١م).الأعْلاق الخَطيرة في ذِكْر أُمَراء الشَّام والجَزِيرَة.(تحقيق، د.يحيى زكريا عبَّارة).دار إحياء التراث العربي.دمشق.

١٠- ابن مُنقِذ.أسامة.(١٩٣٠م).كتاب الاعتبار.(نشرة فيليب حِتِّي).جامعة برنستون.

١١- ابن واصِل.(١٩٥٧م، ١٩٧٢م).مُفرِّج الكُروب في أَخْبار بَني أيُّوب.(تحقيق، د.جمال الدين الشيال، د.حسنين مُحَمَّد ربيع).مركز تحقيق التراث.القاهرة.

١٢- أبو الفِدا.(١٨٤٠م).تقويم البُلْدَان.(نشرة رينو وديسلان).باريس.

١٣- أبو شامة.(١٩٩٧م).كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النُّوريَّة والصَّلاحيَّة.(تحقيق، أ.إبراهيم الزِّيبق).مؤسسة الرسالة.بيروت.

١٤- أبو شامة.(٢٠١٠م).المذيَّل على الروضتين.(تحقيق، أ.إبراهيم الزيبق).دار الرسالة العالمية.ودار البشائر الإسلامية.بيروت.

١٥- الأعظمي.علي ظريف(١٩٢٧م).تاريخ الدُّوَل الفارسيَّة في العراق.مطبعة الفرات.بغداد.

١٦- البُنْداري.الفتح.(١٩٧٩م).سَنا البَرْق الشَّاميّ.(تحقيق، د.فتحية النبراوي).مكتبة الخانجي.القاهرة.

١٧- الجميلي.رشيد.(١٩٦٨م).دولة الأتابِكة في المَوْصِل بعد عِمَاد الدِّين زَنْكِيّ.رسالة ماجستير.كلية الآداب.جامعة الإسكندرية.م

١٨- الحموي.ياقوت.(١٩٧٧م).معجم البلدان.دار صادر.بيروت.

١٩- خليل.عماد الدِّين.(٢٠١٠م).عماد الدين زَنْكِيّ.دار ابن كثير.دمشق.

٢٠- الدَّواداري.ابن أَيْبَك.(١٩٧٢م).الدُّرّ المطْلوب في أَخْبار بَني أيُّوب.(تحقيق، د.سعيد عبد الفتاح عاشور).المعهد الألماني للآثار.القاهرة.

٢١- الذهبي.(١٩٩٦م).سير أعْلام النُّبلاء.(تحقيق، د.بشار عواد معروف، د.محيي هلال السرحان).ط١١.مؤسسة الرسالة.بيروت.

٢٢- الذهبي.(٢٠٠٣م).تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعْلام.(تحقيق، د.بشّار عوّاد معروف).دار الغرب الإسلامي.بيروت.

٢٣- سِبْط ابن الجَوْزِيّ.(٢٠١٣م).مِرْآة الزَّمان في تَواريخ الأعْيان.(تحقيق، أ.إبراهيم الزيبق).ط١.دار الرسالة العالمية.بيروت.

ISSN. 1815-8854

٢٤- السبكي.تاج الدين.(١٩٦٤م).طَبَقات الشَّافِعيَّة الكبرى.(تحقيق، د.عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، د.محمود مُحَمَّد الطناحي).دار إحياء الكتب العربية.القاهرة.

٢٥- الشَّيَّال.جمال الدِّين.(٢٤ يونيو ١٩٤١م).شاعِر من البيت الأيُّوبِيّ.مجلة الثقافة.مصر.العدد ١٣٠.

٢٦- العبايجي.ميسون.(أكتوبر ٢٠١٣م).الكامِل في التاريخ لابن الأثير مصدرًا لدراسة خِطَط المَوْصِل في العصر الأتابكي.نشرة إضاءات موصلية.العدد ٧٦.

٢٧- العماد الكاتب.(١٩٥٥م).خَريدة القَصْر وجَريدة العَصْر."قسم الشعراء الشَّام".(تحقيق، د.شكري فيصل).المجمع العلمي العربي.دمشق.

٢٨- العماد الكاتب.(١٩٨٧م).البَرْق الشَّاميّ.(تحقيق، فالح صالح حسن).مؤسسة عبد الحميد شومان.عمَّان.

٢٩- عوض.مُحَمَّد مؤنس.(٢٠١٤م).مئة كتاب عن صلاح الدين الأيُّوبي عرض ونقد.دار الآفاق العربية.القاهرة.

٣٠- القرماني.(١٩٩٢م).أَخْبار الدُّوَل وآثار الأُوَل.(تحقيق، فهمي سعد، وأحمد حطيط).عالم الكتب.بيروت.

٣١- لان بول.ستانلي.(٢٠٢٠م).تاريخ مصر في العصور الوسطى.(ترجمة وتحقيق وتعليق، د.أحمد سالم سالم).ط٧.الدار المصرية اللبنانية.القاهرة.

٣٢- لسترنج.(١٩٨٥م).بُلْدان الخِلافة الشَّرقيَّة.(ترجمة، بشير فرنسيس، وكوركيس عواد).مؤسسة الرسالة.بيروت.

٣٣- المُنْذِرِيّ.(١٩٨٤م).التَّكْمِلة لوَفَيَات النَّقَلة.(تحقيق، د.بشَّار عوَّاد معروف).مؤسسة الرسالة.بيروت.

ثانيًا–المراجع الأجنبية:

1. Benvenisti. (1976) *The Crusaders in the Holy Land*, Jerusalem.
2. Chisholm. Hugh. (1911) "*Enceinte*", Encyclopædia Britannica, 9 (11th ed.), Cambridge University Press.
3. Friar. Stephen. (2003) *The Sutton Companion to Castles*, Stroud: Sutton Publishing.
4. Lane Poole. Stanley. (1906) *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem*, G. P. Putnam's Sons, New York – London.
5. Lane-Poole. Stanley. (1877) *Catalogue of Oriental Coins in the British Museum*, London.
6. Lane-Poole. Stanley. (1893) *The Mohammedan Dynasties: Chronological and Genealogical Tables with Historical Introductions*, Archibald Constable and Company, London.